ما كانوا ليؤمنوا لما سبق في علم الله وقوله تعالى إلا أن يشاء الله استثناء
منقطع أي لكن إن شاء الله إيمانهم يؤمنون أو استثناء من أعم الأحوال
أي لا يؤمنون في حال من الأحوال إلا حال مشيئة الله تعالى إيمانهم ولكن أكثرهم
يجهلون أي أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم
على ما لا يشعرون ولذلك أسند الجهل إلى أكثرهم لأن بعضهم معاند
مع أن مطلق الجهل يعمهم فيعم المعاند أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون
أنهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في إيمانهم وكذلك أي كما
جعلنا لك أعداء من كفار الإنس والجن جعلنا لكل نبي عدوا ويبدل
شياطين أي مردة الإنس والجن وفي هذا دليل على أن عداوة الكفرة
للأنبياء بجعل الله تعالى وخلقه يوحي أي يوسوس بعضهم أي الشياطين
من النوعين إلى بعض زخرف القول أي مموهه من الباطل غرورا
أي لأجل أن يغروهم بذلك ولو شاء ربك إيمانهم ما فعلوه أي هذا الذي
إنما ذكر من عداوتهم وما تفرع عليها وفي هذا دليل أيضا فذرهم
أي اترك الكفرة على أي حالة اتفقت وما يفترون من الكفر وغيره
مما زين لهم وهذا قبل الأمر بالقتال وقوله تعالى ولتصغى عطف
على غرورا أي جعل علة أي ولتميل ميلا قويا إليه أي الزخرف
الباطل أفئدة أي قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة أي ليس في
طبعهم الإيمان بها لأنها غيب وهم لبلادتهم واتفقوا مع وهمهم
ولذلك استولت عليهم الدنيا التي هي من أصل الغرور وإن متعلق
بمحذوف أي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا
فيه قالوا اللام لام العاقبة وهو قول الزمخشري في كشافه إن
اللام للصيرورة وليرضوه أي الزخرف الباطل لأنفسهم وليقترفوا
أي يكتسبوا ما هم مقترفون من الآثام فيعاقبوا عليها ونزل لما قال

مشركوا

مشركوا قريش للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من أحبار
اليهود وإن شئت من أساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك
أفغير الله أي قل لهم يا محمد أفغير الله أبتغي أي أطلب حكما أي قاضيا بيني
وبينكم وهو الذي أنزل إليكم الكتاب أي الأكمل المعجز وهو هذا القرآن
الذي هو تبيان لكل شيء مفصلا أي مبينا فيه الحق من الباطل والذين آتيناهم
الكتاب أي المعهود إنزاله من التوراة والإنجيل والزبور يعلمون أنه
منزل من ربك بالحق لما عندهم من البشائر في كتبهم ولما له من موافقتهم
في ذكر الأحكام المحكمة والمواعظ الحسنة وكثرة ذكر الله على وجه
ترقق القلوب وتفيض الدموع وتصدع الصدور ومع ما يزيد به على
كتبهم من التفصيل بما يعم المعارف الإلهية والمقامات الصوفية
في ضمن الأحكام الإسلامية وإنما وصفهم جميعهم بالعلم لأن أكثرهم يعلمون
ومن لم يعلم فهو متمكن بأدنى تأمل وقيل المراد مؤمنوا أهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وأصحابه وقرأ ابن عامر وحفص بفتح النون وتشديد
الزاي والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي فلا تكونن يا محمد من
الممترين أي الشاكين من أن علماء الكتاب يعلمون أن هذا القرآن حق وأنه
منزل من عند الله وقيل فلا تكونن في شك مما قصصنا فيكون من باب التهييج
فإنه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وإن كان في الظاهر
للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد به غيره أي فلا تكونن أيها
الإنسان السامع لهذا القرآن في شك أنه منزل من عند الله تعالى لما فيه
من عظم الإعجاز الذي لا يقدر على مثله إلا الله تبارك وتعالى وتمت
كلمات ربك أي بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده وقرأ عاصم
وحمزة والكسائي بغير ألف بين الميم والتاء والباقون بالألف صدقا في
الأخبار والمواعيد لا يقدر أحد أن يبدي في شيء منها حدثا يتخلف مما

Copyright © King Saud University